كلمات نيرة .. وقصص موحية

د . صلاح الدين النكدلي

الطبعة الشبكية الأولى

ربيع الثاني / 1436هـ

شباط / فبراير 2015م

الناشر : الدار الإسلامية للإعلام

© *Islamischer Info. Dienst Verlag*

العنوان

I.I.D e.V.
Juelicher Strasse 114
D-52070 Aachen
Germany

Tel: + 49 241-538373
Fax: + 49 241-538887

Email: iid@iid-alraid.com
Website: www.iid-alraid.com

1. Auflage, 02.2015

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي القاريء :

يسعدني أن أضع بين يديك هذه الباقة من كلمات الحكمة وأخبار من سلف .. آملاً أن تجد فيها متعة وفائدة ..

وهذه المختارات .. انتقيتها من كتاب «البداية والنهاية» لابن كثير رحمه الله تعالى .. واخترت لها عنوان :

« كلمات نيرة .. وقصص موحية »

د. صلاح الدين النكدلي

ابن عمر .. والدنيا

قال ابن مسعود : إن من أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا ابن عمر .

وقال جابر : ما منا أحد أدرك الدنيا إلا مالت به ومال بها ، إلا ابن عمر ، وما أصاب أحد من الدنيا شيئاً إلا نقص من درجاته عند الله وإن كان عليه كريماً .

دعاء عبيد

قال غيلان بن جرير : كان عبيد بن عمير إذا آخى أحداً في الله استقبل به القبلة فقال : «اللهم اجعلنا سعداء بما جاء به نبيك ، واجعل محمداً شهيداً علينا بالإيمان ، وقد سبقت لنا منك الحسنى ؛ غيرَ متطاول علينا الأمدُ ، ولا قاسيةً قلوبُنا ، ولا قائلين ما ليس لنا بحق ، ولا سائلين ما ليس لنا به علم» .

دعاء صِلَة

قال رجل لصلة بن أشيم العدوي : ادْعُ اللهَ لي . فقال :

رغَّبك الله فيما يبقى ، وزهَّدك فيما يفنى ، ورزقك اليقين الذي لا يُركن إلا إليه ، ولا يعوَّل في الدين إلا عليه .

الورع والطمع

قال القاضي شريح بن الحارث : كنت مع علي في سوق الكوفة فانتهى إلى قاصٍ يقص ، فوقف عليه وقال : أيها القاص ! تقص ونحن قريبو عهد ؟! أما إني سائلك فإن تجب عما سألتك وإلا أدبتك .

فقال القاص : سَلْ يا أمير المؤمنين عما شئت .

فقال علي : ما ثبات الإيمان وزواله ؟

قال القاص : ثبات الإيمان الورع وزواله الطمع .

قال علي : فذلك فَقُص .

يعجبني في الرجل خصلتان

كان المهلب بن أبي صفرة يقول :

يعجبني في الرجل خَصلتان : أن أرى عقلَه زائداً على لسانه ، ولا أرى لسانه زائداً على عقله .

عجباً لمؤمن !

كان عبد العزيز بن مروان يقول :

عجباً لمؤمن يؤمن أن الله يرزقُه ويُخْلِفُ عليه ، كيف يحبس مالاً عن عظيم أجرٍ وحُسْنِ ثناء .

الأجل والأمل والعمل

من كلام خالد بن يزيد بن معاوية :

- أقرب شيء الأجل
- وأبعد شيء الأمل
- وأرجى شيء العمل

ذهب اليوم نصف العلم

قال قتادة : لما مات أنس –بن مالك ﷺ– قال مؤرق العجلي : ذهب اليوم نصف العلم ، قيل له : وكيف ذاك يا أبا المعتمر ؟ قال : كان الرجل من أهل الأهواء إذا خالفونا في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. قلنا : لهم تعالوا إلى من سمعه منه .

نصيحة جابر لجابر

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه لأبي الشعثاء جابر بن زيد :

يا ابنَ زيد ! إنك من فقهاء البصرة ، وإنك ستُستفتى ، فلا تفتين إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية ، فإنك إن فعلت غير ذلك فقد هلكت وأهلكت .

قيمة الدنيا

قال الحجاج بن أبي عيينة : كان جابر بن زيد يأتينا في مصلانا ، قال : فأتانا ذات يوم وعليه نعلان خَلِقان ، فقال : مضى من عمري ستون سنة ، نعلاي هاتان أحب إلي مما مضى منه إلا أن يكون خيراً قدمته .

أفضل الخشية

قال سعيد بن جبير :

إن أفضل الخشية أن تخشى الله خشية تحول بينك وبين معصيته ، وتحملك على طاعته ، فتلك هي الخشية النافعة .

الذكر طاعة الله

قال سعيد بن جبير : الذكر طاعة الله ، فمن أطاع الله فقد ذكره ، ومن لم يطعه فليس بذاكر ، وإن كثر منه التسبيح وتلاوة القرآن .

أعبد الناس

قيل لسعيد بن جبير : من أعبد الناس ؟ قال : رجل اقترف من الذنوب ، فكلما ذكر ذنبه احتقر عمله .

كلماتٌ حسان .. لابن المسيب

قال سعيد بن المسيب :

- ما يئس الشيطان من شيء إلاّ أتاه من قبل النساء .
- ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله ، ولا أهانت أنفسها إلا بمعصية الله تعالى .
- من استغنى بالله افتقر الناس إليه .
- الدنيا نذلة وهي إلى كل نذل أميل ، وأنذل منها من أخذها من غير وجهها ووضعها في غير سبيلها .
- إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلاَّ وفيه عيب ، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه .
- من كان فضله أكثر من نقصه وُهِبَ نقصُه لفضله .

اصْبِحُوا وامْسُوا تائبين !

قال طلق بن حبيب العنزي :

إن حقوقَ الله أعظمُ من أن يقوم بها العباد ، وإن نعمَ الله أكثرُ من أن تحصى ، أو يقوم بشكرها العباد ، ولكن اصبحوا تائبين ، وامسوا تائبين .

رأيٌ طلقٍ في الصدقة

كان طلق بن حبيب العنزي لا يخرج إلى صلاة إلا ومعه شيء يتصدق به ، وإن لم يجد إلاَّ بصلاً ، ويقول : قال الله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً** ...﴾ [المجادلة : 12] ، فتقديم الصدقة بين يدي مناجاة الله أعظم وأعظم .

العلم لواحد من ثلاثة

قال هشام بن عروة بن الزبير ، وعروةُ تابعي جليل :

العلم لواحد من ثلاثة :

- لذي حسب يزين به حسبه .
- أو ذي دين يسوس به دينه .
- أو مختلطٍ بسلطان يتحفه بنعمه . ويتخلص منه بالعلم فلا يقع في هلكة .

قال : ولا أعلم أحداً اشترطه لهذه الثلاثة إلا عروة بن الزبير، وعمر بن عبد العزيز .

حكمة

قال عروة بن الزبير : رُبَّ كلمةِ ذلٍّ احتملتُها .. أورثتني عزاً طويلا .

للحسنة أخوات وللسيئة أخوات

قال عروة بن الزبير لبنيه :

إذا رأيتم الرجل يعمل الحسنة فاعلموا أن لها عنده أخوات ، وإذا رأيتم الرجل يعمل السيئة فاعلموا أن لها عنده أخوات . فإن الحسنة تدل على أختها ، والسيئة تدل على أختها .

يرتعد في الصلاة

كان علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، المشهور بزين العابدين ، إذا توضأ يصفر لونه ، فإذا قام إلى الصلاة ارتعد من الفَرَقِ ، فقيل له في ذلك ، فقال : ألا تدرون بين يدي من أقوم ولمن أناجي ؟! .

أعظم الناس خطرا

قيل لزين العابدين علي بن الحسين : من أعظم الناس خطراً ؟ .

فقال : من لم ير الدنيا لنفسه قدرا .

زين العابدين وصدقة الليل

كان زين العابدين علي بن الحسين كثير الصدقة بالليل ، وكان يقول :
صدقة الليل تطفئ غضب الرب ، وتنوّر القلب والقبر ، وتكشف عن القلب ظلمة يوم القيامة .

قال محمد بن إسحاق : كان ناس بالمدينة يعيشون ، لا يدرون من أين يعيشون ومن يعطيهم . فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك ، فعرفوا أنه هو الذي كان يأتيهم به .

ولما مات وجدوا في ظهره وأكتافه أثر حمل الجراب إلى بيوت الأرامل والمساكين في الليل .

عليَّ دَيْنُك

دخل علي بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد يعوده ، فبكى ابن أسامة ، فقال له : ما يبكيك ؟! ، قال : عليَّ دَين ، قال : وكم هو ؟ قال : خمسة عشر ألف دينار . فقال : هي عليّ .

إياك أعني .. وعنك أغضي

نال رجل من علي بن الحسين يوماً ، فجعل يتغافل عنه –يريه أنه لم يسمعه– فقال له الرجل : إياك أعني . فقال له علي : وعنك أغضي .

كلمتان حسنتان

قال زين العابدين علي بن الحسين :

الفكرة مرآة تُري المؤمن حسناتِه وسيئاتِه .

وقال أيضا : فَقْدُ الأحبة غُرْبَة .

لَحِقَه فصالحه

اختصم علي بن الحسين وحسن بن حسن –وكان بينهما منافسة– فنال منه حسن بن حسن ، وهو ساكت ، فلما كان الليل ذهب علي بن الحسين إلى منزل حسن فقال : يا ابن عم إن كنتَ صادقاً يغفر الله لي ، وإن كنت كاذباً يغفر الله لك والسلام عليك ، ثم رجع ، فلحقه فصالحه .

أنواع العبادة

قال زين العابدين علي بن الحسين :

إن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد ، وآخرون عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار، وآخرون عبدوه محبة وشكراً ، فتلك عبادة الأحرار الأخيار .

الأسخياء الأتقياء هم السادة

قال علي بن الحسين :

سادة الناس في الدنيا الأسخياء الأتقياء ، وفي الآخرة أهل الدين وأهل الفضل والعلم الأتقياء ، لأن العلماء ورثة الأنبياء .

إني لأستحي من الله

كان علي بن الحسين يقول : إني لأستحي من الله عزَّ وجلَّ أن أرى الأخ من إخواني فأسأل الله له الجنة ، وأبخل عليه بالدنيا ، فإذا كان يوم القيامة ، قيل لي : فإذا كانت الجنة بيدك كنت بها أَبْخَلَ ، وأبخل ، وأبخل .

لم تتعمد .. فأنت حر

روى ابن أبي الدنيا : أن غلاماً سقط من يده سفود[1] وهو يشوي شيئاً في التنور على رأس صبي لعلي بن الحسين فقتله ، فنهض علي بن الحسين مسرعاً ، فلما نظر إليه قال للغلام : إنك لم تتعمد ، أنت حر ، ثم شرع في جهاز ابنه .

---

(1) السفود : عودٌ من حديد ينظم عليه اللحم ليشوى .

قنوطك أعظم من ذنبك

قال المدائني : قارف الزهري ذنباً ، فاستوحش منه وهام على وجهه ، وترك أهله وماله . فلما اجتمع بعلي بن الحسين قال له : يا زهري قنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أعظم من ذنبك ، فقال الزهري : ﴿... **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ...﴾ [الأنعام : 124] ، وفي رواية أنه كان أصاب دماً حراماً خطأً ، فأمره علي بالتوبة والاستغفار ، وأن يبعث الدية إلى أهله ، ففعل ذلك . وكان الزهري يقول : علي بن الحسين أعظم الناس علي منَّة .

لا تقل في الناس غير الحق

قال سفيان بن عيينة : كان علي بن الحسين يقول : لا يقول رجل في رجل من الخير ما لا يعلم .. إلا أوشك أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم ، وما أصطحب اثنان على معصية .. إلا أوشك أن يفترقا على غير طاعة .

الذل وحمر النعم!

قال المدائني : سمعت سفيان يقول : كان علي بن الحسين يقول : ما يسرني أن لي بنصيبي من الذل حُمْرَ النعم .

العُربُ تعرف من أنكرتَ والعجم

روي من طرق ذكرها الصولي وغيره أن هشام بن عبد الملك حج في خلافة أبيه أو أخيه الوليد ، فطاف بالبيت ، فلما أراد أن يستلم الحجر لم يتمكن حتى نُصب له منبر ، فاستلم وجلس عليه ، وقام أهل الشام حوله ، فبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن الحسين ، فلما دنا من الحجر ليستلمه تنحى عنه الناس إجلالاً له وهيبةً واحتراماً ، وهو في بزة حسنة ، وشكل مليح ، فقال أهل الشام لهشام : من هذا ؟ فقال : لا أعرفه ، فقال الفرزدق : أنا أعرفه ، فقالوا : ومن هو ؟ فأشار الفرزدق يقول :

هـذا الـذي تعـرف البطحـاءُ وطأتَـهُ ... والبيـتُ يعرفـه والحِـلُّ والحـرمُ

هـذا ابـنُ خيـر عبـاد الله كلهـم ... هـذا التقـي النقـي الطـاهر العلـمُ

إذا رأتـه قـريش قـال قائلهـا ... إلـى مكـارم هـذا ينتهـي الكـرمُ

يُنمـى إلـى ذروة العـز التـي قصـرت ... عـن نيلهـا عـربُ الإسـلام والعجـمُ

يكـاد يمسـكه عرفـان راحتـه ... ركـن الحطـيم إذا مـا جـاء يسـتلمُ

يُغْضـي حيـاءً ويُغْضَـى مـن مهابتـه ... فمـا يكلَّـم إلا حـين يبتسـمُ

حمّـال أثقـال أقـوام إذا فـدحوا ... حلـو الشـمائل تحلـو عنـده نعـمُ

هـذا ابـن فاطمـة إن كنـت جاهلـه ... بجـده أنبيـاء الله قـد خُتمـوا

فلـيس قولـك مـن هـذا بضـائره ... العـرب تعـرف مـن أنكـرت والعجـمُ

مـن يعـرف الله يعـرف أوليـة ذا ... فالـدين مـن بيـت هـذا نالـه الأمـمُ

ونلهو حين تمضي ذاهبات

كان علي بن الحسين إذا مرت به جنازة يقول هذين البيتين :

نُـراعُ إذا الجنـائزُ قابلتنـا ... ونلهـو حـين تمضـي ذاهبـاتِ

كروعـة ثَلَّـةٍ لِمغـارِ سَـبُعٍ ... فلمـا غـاب عـادتْ راتعـاتِ[1]

(1) الثَّلَّة : جماعة الغنم .

لا يلهينَّك الناس عن ذات نفسك

يقول الفضل بن زياد الرقاشي :

لا يُلهينك الناس عن ذات نفسك ، فإن الأمر يخلص إليك دونهم ، ولا تقطع نهارك بِكَيْت وكَيْت ، فإنه محفوظ عليك .

الذّنْب والحسنة

يقول الفضل بن زياد الرقاشي :

لم أَرَ شيئاً أحسنَ طلباً ، ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثة لذنب قديم .

وصية الجنيد

قال رجل للجنيد : أوصني ، قال : توبةٌ تَحُلُّ الإصرار ، وخوفٌ يُزيلُ العِزَّة ، ورجاءٌ مزعجٌ – مُحَرِّكٌ– إلى طرق الخيرات ، ومراقبةُ الله في خواطر القلب .

لولا أنك تَلْحَن !

قال عبد الملك –بن مروان– يوماً لرجل من قريش : إنك لرجلٌ لولا أنك تَلْحَن ، فقال : وهذا ابنك الوليد يَلْحَنُ ، فقال : لكن ابني سليمان لا يَلْحَنُ ، فقال الرجل : وأخي أبو فلان لا يَلْحَنْ .

الناس على دين ملوكهم

قالوا : وكانت همة الوليد في البناء ، وكان الناس كذلك يلقى الرجلُ الرجلَ فيقول : ماذا بنيت ؟ ماذا عمَّرت ؟ . وكانت همة أخيه سليمان في النساء ، وكان الناس كذلك ، يلقى الرجلُ الرجلَ فيقول : كم تزوجت ؟ ماذا عندك من السراري ؟ . وكانت همة عمر بن عبد العزيز في قراءة القرآن ، وفي الصلاة والعبادة ، وكان الناس كذلك ، يلقى الرجلُ الرجلَ فيقول : كم وِرْدُك ؟ كم تقرأ كل يوم ؟ ماذا صليت البارحة ؟

لست بمبتدع ولكني متبع

لما مات سليمان بن عبد الملك ، وبايع من كان حاضراً عمرَ بن عبد العزيز قام فخطب خطبة بليغة ، فكان مما قال في خطبته :

« أيها الناس ، إني لست بمبتدع ولكني متبع ، وإنّ مَنْ حولكم من الأمصار والمدن إن أطاعوا كما أطعتم فأنا واليكم ، وإنْ هم أبوا فلست لكم بوال » .

إنَّ لي نفساً تتوَّاقة

يقال إنّ عمر بن عبد العزيز خطب الناس فقال في خطبته :

« أيها الناس ، إنّ لي نفساً تواقة لا تُعطى شيئاً إلا تاقت إلى ما هو أعلى منه ، وإني لما أُعطيت الخلافة تاقت إلى ما هو أعلى منها ، وهي الجنة ، فأعينوني عليها يرحمكم الله » .

قد جاء شغل شاغل

قال رجل لعمر بن عبد العزيز : تفرّغ لنا يا أمير المؤمنين ، فأنشأ يقول :

قد جاء شغلٌ شاغلٌ وعدلتُ عن طُرق السلامهْ
ذهب الفراغُ فلا فرا.. ..غَ لنا إلى يوم القيامه

إنك لا تجد على الخير أعوانا

قال عمر بن عبد العزيز لسالم بن عبد الله بن عمر :

« اكتب لي سيرة عمر حتى أعمل بها . فقال له سالم : إنك لا تستطيع ذلك . قال : ولم ؟! . قال : إنك إن عملت بها كنت أفضل من عمر ، لأنه كان يجد على الخير أعواناً ، وأنت لا تجد من يعينك على الخير » .

لا تطعني في معصية

قال ميمون بن مهران : ولاَّني عمر بن عبد العزيز عمالةً ، ثم قال لي : « إذا جاءك كتاب مني على غير الحق فاضرب به الأرض » .

اذكر قدرة الله عليك!

كتب عمر –بن عبد العزيز– إلى بعض عماله : « إذا دعتك قدرتُك على الناس إلى مظلمة ؛ فاذكر قدرةَ الله عليك ، ونفادَ ما تأتي إليهم ، وبقاءَ ما يأتون إليك » .

بُعث محمد داعياً لا جابيا

عزل عمر بن عبد العزيز الجراحَ بنَ عبد الله الحكمي عن إمرة خراسان .. وإنما عزله لأنه كان يأخذ الجزية ممن أسلم من الكفار ، ويقول : أنتم إنما تسلمون فراراً منها . فامتنعوا من الإسلام وثبتوا على دينهم وأدوا الجزية ، فكتب إليه عمر : إن الله إنما بعث محمداً ﷺ داعياً ، ولم يبعثه جابيا » .

اللهم .. وفقني

من أدعية عمر بن عبد العزيز قوله :

« اللهم إن رجالاً أطاعوك فيما أمرتهم وانتهوا عما نهيتهم ، اللهم وإن توفيقك إياهم كان قبل

طاعتهم إياك ، فوفقني .

اللهم إن عمر ليس بأهل أن تناله رحمتك ، ولكن رحمتك أهل أن تنال عمر » .

عمرٌ يرشد ويُعرض

▪ قال رجل لعمر بن عبد العزيز : أبقاك الله ما كان البقاء خيراً لك . فقال : هذا شيء قد فُرِغَ منه ، ولكن قل : أحياك الله حياة طيبة وتوفاك مع الأبرار .

▪ وقال له رجل : كيف أصبحت يا أمير المؤمنين ؟ . فقال : أصبحت بطيئاً بطيناً ، متلوثاً بالخطايا ، أتمنى على الله عزَّ وجلَّ ! .

▪ ودخل عليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين إن من كان قبلك كانت الخلافة لهم زين ، وأنت زين الخلافة ، وإنما مثلك يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر :

وإذا الـــــدُرُّ زانَ حُســـــنَ وجـــــوهٍ كـــان للـــدر حُســـنُ وجهـــك زينـــا

قال : فأعرض عنه عمر .

وقف عند آية ولم يتجاوزها

قال مقاتل بن حيان : صليت وراء عمر بن عبد العزيز فقرأ : ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ**﴾ [الصافات : 24] . فجعل يكررها وما يستطيع أن يتجاوزها .

يا ليت بيننا وبين الخلافة بُعد المشرقين !

قالت فاطمة زوج عمر بن عبد العزيز :

« ما رأيت أحداً أكثر صلاة وصياماً منه ، ولا أحداً أشدّ فَرَقاً من ربه منه ؛ كان يصلي العشاء ثم يجلس يبكي حتى تغلبه عيناه ، ثم ينتبه فلا يزال يبكي حتى تغلبه عيناه .

قالت : ولقد يكون معي في الفراش فيذكر الشيء من أمر الآخرة فينتفض كما ينتفض العصفور في الماء ، ويجلس يبكي ، فأطرح عليه اللحاف رحمة له ، وأنا أقول : يا ليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشرقين ، فوا لله ما رأينا سروراً منذ دخلنا فيها » .

إنْ لا يَسِرْ طائعاً في قصدها يُسَقِ

قال أبو بكر الصولي : كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بقول الشاعر :

فما تزوّدَ مما كان يجمعه ... سوى حنوطٍ غداةَ البينِ في خِرَقِ

وغيرَ نفحةِ أعوادٍ تشبُّ له ... وقلَّ ذلك من زادٍ لمنطلقِ

بأيما بلدٍ كانت منيته ... إن لا يَسِرْ طائعاً في قصدها يُسَقِ

الدنيا ظلٌ زائل

قال الفضل بن عباس الحلبي : كان عمر بن عبد العزيز لا يجف فوه من هذا البيت :

ولا خيرَ في عيشِ امرئٍ لم يكنْ له ... منَ الله في دار القرار نصيبُ

وزاد غيره معه بيتاً حسناً وهو قوله :

فـــإن تُعجـــب الـــدنيا أُناســـاً فإنهـــا متـــــاع قليـــــل والـــــزوال قريـــــب

أيقظانُ أنتَ اليوم ؟!

وقال محمد بن كثير : قال عمر بن عبد العزيز يلوم نفسه :

أَيقظـــانُ أنـــتَ اليـــوم أم أنـــت نائـــمُ وكيـــف يطيـــق النـــوم حيـــران هـــائمُ
فلـــو كنـــتَ يقظـــان الغـــداةِ لحرَّقـــتْ محـــاجرَ عينيـــك الـــدموعُ الســـواجمُ
أصـبحتَ فـي النـوم الطويـل وقـد دنـت إليـــك أمـــورٌ مُفْظِعـــاتٌ عظائـــمُ
وتكـــدح فيمـــا ســـوف تكـــره غبّـــهُ كـــذلك فـــي الـــدنيا تعـــيش البهائـــمُ
فـــلا أنـــت فـــي النُّـــوام يومـــاً بســـالمٍ ولا أنـــت فـــي الأيقـــاظ يقظـــانُ حـــازمُ

الصلاة .. الصلاة

كان عمر بن عبد العزيز يكتب إلى عماله : اجتنبوا الأشغال عند حضور الصلاة ، فإن من أضاعها فهو لما سواها من شرائع الإسلام أشدُّ تضييعا .

ليس من جُرِّبَ كمن لم يُجَرَّب

قال أبو سعيد الداراني :

كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس القرني ، لأن عمر مَلَكَ الدنيا بحذافيرها وزهد فيها ، ولا ندري حال أويس لو ملك ما ملكه عمر كيف يكون ؟ ، ليس من جُرِّبَ كمن لم يُجَرَّب .

دعوة عمرية

كان عمر بن عبد العزيز يقول : اللهم أصلح من كان في صلاحه صلاحٌ لأمة محمد ﷺ ، وأهلك من كان في هلاكه صلاحُ أمة محمد ﷺ .

حِكَمٌ عُمَرِيةٌ رائعةٌ

- قال عمر بن عبد العزيز :

« أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم » .

- وقال أيضاً :

« لو أن المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى يُحْكِمَ أمر نفسه لتواكل الناس الخيرَ ، ولذهب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولقلَّ الواعظون والساعون لله بالنصيحة » .

- وقال :

« الدنيا عدوة أولياء الله ، وولية أعداء الله ، أما الأولياء فَغمَّتهم وأحزنتهم ، وأما الأعداء فغرَّتهم ،

وشتَّتْهم ، وأبعدتهم عن الله » .

- وقال :

« قد أفلح من عُصِمَ من المراء ، والغضب ، والطمع » .

- وقال أيضاً :

« لقد بورك لعبد في حاجة أكثر فيها سؤال ربه ، أُعطيَ أو مُنِع » .

- وقال :

« قيِّدوا العلم بالكتاب » .

- وقال لرجل :

« علِّم ولدك الفقه الأكبر : القناعة وكف الأذى » .

- وتكلم رجل عنده فأحسن ، فقال :

« هذا هو السحر الحلال » .

وما عالمٌ شيئاً كمن هو جاهلُهْ

كان عمر بن عبد العزيز يتمثل كثيراً بهذه الأبيات :

يُـرى مستكيناً وهو للقول ماقتُ ... به عن حديث القوم ما هو شاغلُهْ
وأزعجه علمٌ عن الجهل كله ... وما عالم شيئاً كمن هو جاهلهْ
عبوسٌ عن الجهال حين يراهمُ ... فليس له منهم خدينٌ يهازلهْ
تذكَّر ما يبقى من العيش فارعوى ... فأشغله عن عاجل العيش آجله

فكم من صحيح بات للموت آمناً ؟!

روى ابن أبي الدنيا عن ميمون بن مهران قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده سابقٌ البربري وهو ينشده شعراً ، فانتهى في شعره إلى هذه الأبيات :

فكم من صحيح بات للموت آمناً ... أتته المنايا بغتةً بعد ما هجعْ
فلم يستطع إذ جاءه الموتُ بغتةً ... فراراً ، ولا منه بقوّته امتنعْ
فأصبح تبكيه النساءُ مُقَنَّعاً ... ولا يسمع الداعي وإنْ صوتَه رفعْ
وقُرِّب من لحدٍ فصار مقيلَهُ ... وفارق ما قد كان بالأمس قد جمعْ
فلا يترك الموتُ الغنيَ لمالهِ ... ولا معدماً في المال ذا حاجةٍ يدعْ

لو اتعظ الملوك بمن مضى

قال شعيب بن صفوان : كتب سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب إلى عمر بن عبد العزيز لما وليَ الخلافة :

« أما بعد يا عمر ، فإنه قد ولي الخلافة قبلك أقوام ، فماتوا على ما قد رأيت ، ولقوا الله فرادى بعد الجموع والحفدة والحشم ، وعالجوا نزع الموت الذي كانوا منه يفرون ، فانفقأت عينهم التي كانت لا تفتأ تنظر لذاتها ، واندفنت رقابهم غير موسدين بعد لينِ الوسائد ، وتظاهرِ الفرش والمرافق والسرر والخدم ، وانشقت بطونهم التي كانت لا تشبع من كل نوع ولون من الأموال والأطعمة ، وصاروا جيفاً بعد طيب والروائح العطرة ، حتى لو كانوا إلى جانب مسكين ممن كانوا يحقرونه وهم أحياء لتأذّى بهم ، ولنفر منهم ، بعد إنفاق الأموال على أغراضهم من الطيب والثياب الفاخرة اللينة ، كانوا ينفقون الأموال إسرافاً في أغراضهم وأهوائهم ، ويقترون في حق الله وأمره .

فإن استطعت أن تلقاهم يوم القيامة وهم محبوسون ، مرتهنون بما عليهم ، وأنت غير محبوس ، ولا مرتهن بشيء ، فافعل ، واستعن بالله ، ولا قوة إلا بالله سبحانه .

وما ملكٌ عما قليل بسالمٍ ولو كثرت أحراسُه ومواكبُهْ
ومن كان ذا باب شديد وحاجبٍ فعمَّا قليل يهجر البابَ حاجبُهْ
وما كان غير الموت حتى تفرَّقت إلى غيره أعوانُه وحبائبُهْ
فأصبح مسروراً به كل حاسدٍ وأسلمه أصحابُه وأقاربُهْ

أما كانوا يمشون على القبور ؟!

روى ابن أبي الدنيا أن عمر بن عبد العزيز قال :

« استعملنا أقواماً كنا نرى أنهم أبرار أخيار ، فلما استعملناهم إذا هم يعملون أعمال الفجار ، قاتلهم الله ، أما كانوا يمشون على القبور ؟!! » .

أوصيك بترك ما أحدث المُحْدِثون

روى الطبراني والدارقطني وغير واحد من أهل العلم بأسانيدهم إلى عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عامل له :

« أما بعد ، فإني أوصيك بتقوى الله واتباع سنة رسوله والاقتصاد في أمره ، وترك ما أحدث المحدثون بعده ، ممن حارب سنته ، وكفوا مؤنته .

ثم اعلم أنه لم تكن بدعة إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل على بطلانها – أو قال : دليل عليها – فعليك لزوم السنة ، فإنه إنما سنّها من قد علم ما في خلافها من الزيغ والزلل ، والحمق والخطأ

والتعمق ، ولَهُمُ [1] كانوا على كشف الأمور أقوى ، وعلى العمل الشديد أشدّ ، وإنما كان عملهم على الأَسَدّ ، ولو كان فيما تُحَمِّلوُن أنفسكم فضلٌ لكانوا فيه أحرى ، وإليه أجرى ، لأنهم السابقون إلى كل خير .

فإن قلتَ : قد حدث بعدهم خير . فاعلم أنه إنما أحدثه من قد اتبع غير سبيل المؤمنين ، وحاد عن طريقهم ، ورغبت نفسه عنهم ، ولقد تكلموا منه ما يكفي ، ووصفوا منه ما يشفي ، فأين لا أين ، فَمَنْ دونهم مقصِّر ، ومَنْ فوقهم غير محسن ، وقد قصر أقوام دينهم فحفوا ، وطمح عنهم آخرون فغفلوا » .

ثم عقَّب ابن كثير فقال :

«فرحم الله ابن عبد العزيز ، ما أحسن هذا القول الذي ما يخرج إلا من قلب قد امتلأ بالمتابعة ومحبة ما كان عليه الصحابة ، فمن الذي يستطيع أن يقول مثل هذا من الفقهاء وغيرهم ؟!» .

من استبصر بالوحي أبصر

روى الخطيب البغدادي بسنده إلى عمر بن عبد العزيز أنه قال :

« سنَّ رسول الله ﷺ وخلفاؤه بعدهُ سنناً ، الأخذُ بها تصديق لكتاب الله ، واستعمال لطاعة الله ، ليس على أحد تغييرها ، ولا تبديلها ، ولا النظر في رأي من خالفها ، فمن اقتدى بما سبق هُدي ، ومن استبصر بها أبصر ، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاّه الله ما تولى ، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا » .

(1) يريد : الصحابة .

الحاكم وخصماؤه

قال زياد العبدي لعمر بن عبد العزيز :

« يا أمير المؤمنين أخبرني عن رجل له خصمٌ أَلَدُّ ، ما حالُه ؟ ، قال : سيء الحال ، قال : فإن كانا خصمين أَلَدَّيْن ؟ ، قال : فهو أسوأ حالاً ، قال : فإن كانوا ثلاثة ؟ قال : ذاك حيث لا يهنئُه عيش . قال : فوالله يا أمير المؤمنين ما أحد من أمة محمد ﷺ إلا وهو خصمك » .

قال : فبكى عمر حتى تمنيت أني لم أكن حدثته ذلك .

خليفة يوصي خليفة

كتب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن عبد الملك :

« أما بعد ، فإني لا أراني إلا ملمّاً بي ، وما أرى الأمر إلا سيفضي إليك ، فالله الله في أمة محمد ﷺ فإنك عمّا قليل ميت فتدع الدنيا إلى من لا يعذرك » .

فإن كان لا بدَّ فأذن لجرير

قال الهيثم بن عدي بن عوانة بن الحكم :

« لما استُخلف عمر بن عبد العزيز ، وفد إليه الشعراء فمكثوا ببابه أياماً لا يؤذن لهم ولا يلتفت إليهم ، فساءهم ذلك وهمُّوا بالرجوع إلى بلادهم ، فمرَّ بهم رجاء بن حيوة ، فقال له جرير :

يـــا أيهـــا الرجـــل المرخـــي عمامتـــه هـــذا زمانـــك فاســـتأذن لنـــا عمـــرا

فدخل ولم يذكر لعمر من أمرهم شيئاً ، فمرَّ بهم عديُّ بن أرطأة ، فقال له جرير منشدا :

يـــا أيهـــا الراكـــب المرخـــي مطيتـــه هـــذا زمانـــك إنـــي قـــد مضـــى زمنـــي
أبلـــغ خليفتنـــا إن كنـــت لاقيـــه أنـــي لـــدى البـــاب كالمصـــفود فـــي قَـــرنِ
لا تـــنسَ حاجتنـــا ، لاقيـــتَ مغفـــرةً قـــد طـــال مكثـــيَ عـــن أهلـــي وعـــن وطنـــي

فدخل عدي على عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين ، الشعراء ببابك ، وسهامهم مسمومة ، وأقوالهم نافذة ، فقال : ويحك يا عدي ، مالي وللشعراء ؟! ، فقال : يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ قد كان يسمع الشعر ، ويجزي عليه ، وقد أنشده العباس بن مرادس مدحة فأعطاه حلة ، فقال له عمر : أتروي منها شيئا ؟ ، قال نعم : فأنشده :

رأيتـــك يـــا خيـــر البريـــة كلهـــا نشـــرت كتابـــا جـــاء بـــالحق مُعْلِمـــا
شـــرعتَ لنـــا ديـــن الهـــدى بعـــد جوْرنـــا عـــن الحـــق لمـــا أصـــبح الحـــق مُظْلِمـــا
ونـــوَّرتَ بالبرهـــان أمـــراً مدلّســـاً وأطفـــأت بـــالقرآن نـــاراً تضرّمـــا
فمـــن مبلـــغٍ عنـــي النبـــي محمـــداً وكـــل امـــرئٍ يُجـــزى بمـــا كـــان قـــدَّما
أقمـــتَ ســـبيل الحـــق بعـــد اعوجاجـــه وكـــان قـــديماً ركنُـــه قـــد تهدّمـــا
تعـــالى علـــواً فـــوق عـــرشٍ إلهنـــا وكـــان مكـــان الله أعلـــى وأعظمـــا

فقال عمر : من بالباب منهم ؟ ، فقال : عمر بن أبي ربيعة ، فقال : أليس هو الذي يقول :

ثـــم نبَّهتُهـــا فهبّـــت كعابـــا طفلـــة مـــا تَبـــين رجـــع الكـــلامِ
ســـاعة ثـــمّ إنهـــا بعـــدُ قالـــت : ويلنـــا قـــد عجلـــتَ يـــا ابـــن الكـــرامِ
أعلـــى غيـــر موعـــد جئـــت تســـري إلـــي تخطَّـــى رؤوس النيـــامِ

مـــا تجشـــمتَ مـــا تريـــد مـــن الأمـــر ولاحيـــــــتَ طارقـــــــاً لخصـــــــامِ

فلو كان عدو إذا فجر كتم وستر على نفسه ، لا يدخل والله أبداً ، فمن بالباب سواه ؟ ، قال : همام بن غالب – يعني الفرزدق – فقال عمر : أو ليس هو الذي يقول في شعره :

هُمـــا دلّيـــاني مـــن ثمانيـــن قامـــةً كمـــا انقـــضَّ بـــازٌ أقـــتمُ الـــريشِ كاســـرُهْ
فلمـــا اســـتوت رجـــلايَ بـــالأرض قالتـــا : أحـــــيٌّ يُرَجَّـــى أم قتيـــل نحـــاذرهْ ؟

لا يطأ والله بساطي وهو كاذب ، فمن سواه بالباب ؟ قال : الأخطل ، قال : أو ليس هو الذي يقول :

ولســـت بصـــائمٍ رمضـــان طوعـــاً ولســـتُ بآكـــلٍ لحـــم الأضـــاحي
ولســـت بزاجـــرٍ عِيســـاً بكـــورٍ إلـــى بطحـــاء مكـــة للنجـــاحِ
ولســـت بزائـــرٍ بيتـــاً بعيـــداً بمكـــة أبتغـــي فيـــه صلاحـــي
ولســـت بقـــائم كـــالعير أدعـــو قبيـــل الصـــبح : حـــيَّ علـــى الفـــلاح
ولكنـــي سأشـــربها شـــمولاً وأســـجد عنـــد منـــبلج الصـــباحِ

والله لا يدخل عليّ وهو كافر أبداً ، فهل بالباب سوى من ذكرت ؟ ، قال : نعم ، الأحوص . قال : أليس هو الذي يقول :

الله بينـــــي وبـــــين ســـــيدها يفـــــرُّ منـــــي بهـــــا وأَتبعـــــهُ

فما هو دون من ذكرت ، فمن ههنا غيره ؟ ، قال : جميل بن معمر . قال : الذي يقول :

أَلا ليتنـــا نحيـــا جميعـــاً وإنْ نَمُـــتْ يوافـــق فـــي المـــوتى خريجـــي خريجُهـــا
فمـــا أنـــا فـــي طـــول الحيـــاة براغـــبٍ إذا قيـــل : قـــد سُـــوِّي عليهـــا صـــفيحُها

فلو كان عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ليعمل بذلك صالحاً ويتوب ، والله لا يدخل عليَّ أبداً ، فهل بالباب أحد سوى ذلك ؟ ، قلت : جرير ، قال : أما إنه الذي يقول :

طرقتـــك صـــائدة القلـــوب ولـــيس ذا وقـــت الزيـــارة فـــارجعي بســـلامِ

فإن كان لا بدَّ فأذن لجرير ، فأَذن له ، فدخل على عمر وهو يقول :

إن الـــذي بعـــث النبـــي محمـــداً جعـــل الخلافـــة للإمـــام العـــادلِ
وســـع الخلائـــقَ عدلُـــه ووفـــاؤهُ حتـــى ارعـــوى وأقـــام ميـــل المائـــلِ
إنـــي لأرجـــو منـــك خيـــراً عاجـــلاً والـــنفس مولعـــة بحـــب العاجـــلِ

فقال له : ويحك يا جرير ، اتق الله فيما تقول . ثم إن جريراً استأذن عمر في الإنشاد فلم يأذن له ولم ينهه ، فأنشده قصيدة طويلة يمدحه بها ، فقال له : ويحك يا جرير لا أرى لك فيما ههنا حقاً . فقال : إني مسكين وابن سبيل . قال : إنا ولينا هذا الأمر ونحن لا نملك إلا ثلاثمائة درهم ، أخذت أم عبد الله مائة وابنها مائة ، وقد بقيت مائة ، فأمر له بها . فخرج على الشعراء ... فقالوا : ما وراءك يا جرير ؟ ، فقال : ما يسوؤكم ، خرجت من عند أمير المؤمنين وهو يعطي الفقراء ويمنع الشعراء ، وإني عنه لراضٍ ، ثم أنشأ يقول :

رأيـــتُ رقـــى الشـــيطان لا تســـتفزُّه وقـــد كـــان شـــيطاني مـــن الجـــن راقيـــا

إنك تُسأل عن هذا يوم القيامة

قال حماد الراويةُ عن كُثير عزة :

« وفدت أنا والأحوص ونُصيِّب إلى عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة ، ونحن نَمُتُّ بصحبتنا إياه ومعاشرتنا له ، لما كان بالمدينة ، وكلٌّ منا يظن أنه سيشركه في الخلافة . فنحن نسير ونختال في رحالنا .

فلما انتهينا إلى خُناصرة ولاحت لنا أعلامها ، تلقّانا مسلمة ابن عبد الملك فقال : ما أقدمكم ؟! ، أما علمتم أن صاحبكم لا يحب الشعر والشعراء ؟ ، قال : فوجمنا لذلك ، فأنزلنا مسلمة عنده وأجرى علينا النفقات وعلف دوابنا ، وأقمنا عنده أربعة أشهر لا يمكنه أن يستأذن لنا على عمر ، فلما كان في بعض الجُمَعِ دنوت منه لأسمع خطبته فأسلم عليه بعد الصلاة ، فسمعته يقول في خطبته :

« لكل سفر زاد ، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى ، وكونوا كمن عاين ما أعدّ

الله له من عذابه وثوابه ، فترغبوا وترهبوا ، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم وتنقادوا لعدوكم ، فإنه والله ما بسط أمل من لا يدري لعله لا يمسي بعد إصباحه ولا يصبح بعد إمسائه ، وربما كانت له كامنة بين ذلك خطرات الموت والمنايا ، وإنما يطمئن من وثق بالنجاة من عذاب الله وأهوال يوم القيامة ، فأما من لا يداوي من الدنيا كَلْماً إلا أصابه جارح من ناحية أخرى فكيف يطمئن ؟! أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي وتبدو مسكنتي في يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق » .

ثم بكى حتى ظننا أنه قاضٍ نحبه ، وارتج المسجد وما حوله بالبكاء والعويل .

قال كُثَيِّر : « فانصرفت إلى صاحبي فقلت : خذ سرحاً من الشعر غير ما كنا نقول لعمر وآبائه ، فإنه رجل أُخرى ليس برجل دنيا .

قال : ثم استأذن لنا مسلمة عليه يوم الجمعة ، فلما دخلنا عليه سلمت عليه ثم قلت : يا أمير المؤمنين طال الثواء وقلَّت الفائدة ، وتحدث بجفائك إيانا وفود العرب . فقال : ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ** ...﴾ [التوبة : 60] وقرأ الآية ، فإن كنتم من هؤلاء أُعطيتم وإلا فلا حق لكم فيها . فقلت : يا أمير المؤمنين إني مسكين وعابر سبيل ومنقطع به . فقال : ألستم عند أبي سعيد ؟ – يعني مسلمة بن عبد الملك – فقلنا : بلى ! فقال : إنه لا ثواب على من هو عند أبي سعيد . فقلت : ائذن لي يا أمير المؤمنين بالإنشاد ، قال : نعم ، ولا تقل إلا حقاً .

فأنشدته قصيدة فيها :

وليتَ فلم تشتم علياً ولم تُخفْ ... بريئاً ولم تقبل إشارة مجرمِ
وصدقتَ بالفعل المقال مع الذي ... أتيت فأمسى راضياً كل مسلمِ
ألا إنما يكفي الفتى بعد ريعه ... من الأود النادي ثقافُ المقومِ
وقد لبست تسعى إليك ثيابها ... تراءى لك الدنيا بكفٍّ ومعصمِ
وتومض أحياناً بعين مريضة ... وتبسم عن مثل الجمان المنظّمِ
فأعرضتَ عنها مشمئزاً كأنما ... سقتك مذوقاً من سمامٍ وعلقمِ
وقد كنتَ من أحبالها في ممنع ... ومن بحرها في مزبد الموج مفعم
وما زلتَ تواقاً إلى كل غاية ... بلغتَ بها أعلى البناء المقدم
فلما أتاك الملكُ عفواً ولم تكن ... لطالب دنيا بعده في تكلمِ
تركتَ الذي يفنى وإن كان مونقاً ... وآثرت ما يبقى برأيٍ مصمِّمِ

وأضـــررتَ بالفـــاني وشـــمّرتَ للـــذي ... أمامـــك فـــي يـــوم مـــن الشـــر مظلـــمِ
ومالـــكَ إذْ كنـــتَ الخليفـــةَ مانـــعٌ ... ســـوى الله مـــن مـــالٍ رعيـــتَ ولا دَمِ
سَـــما لـــكَ هـــمٌّ فـــي الفـــؤاد مـــؤرِّقٌ ... بلغـــت بـــه أعلـــى المعـــالي بســـلمِ
فمـــا بـــين شـــرق الأرض والغـــرب كلهـــا ... منـــادٍ ينـــادي مـــن فصـــيحٍ وأعجـــمِ
يقـــول أميـــرَ المؤمنيـــن ظلمتنـــي ... بأخـــذك دينـــاري وأخـــذك درهمـــي
ولا بســـطُ كـــفٍ لامـــرئٍ غيـــر مجـــرمٍ ... ولا الســـفك منـــه ظالمـــاً مـــلء مجحـــمِ
ولـــو يســـتطيع المســـلمون لقســـموا ... لـــك الشـــطر مـــن أعمـــارهم غيـــر نُـــدَّمِ
فعشـــت بهـــا مـــا حـــج لله راكـــب ... ملـــبٍ مطيـــفٌ بالمقـــام وزمـــزمِ
فأَرْبِـــحْ بهـــا مـــن صـــفقة لمبايـــع ... وأَعْظِـــمْ بهـــا ، أعظـــمْ بـــه ، أعظـــمِ

قال : فأقبل عليّ عمر بن عبد العزيز وقال : « إنك تُسأل عن هذا يوم القيامة » ثم استأذنه الأحوص فأنشده أخرى ، فقال : « إنك تُسأل عن هذا يوم القيامة » ثم استأذنه نصيب فلم يأذن له ، وأمر لكل واحد منهم بمائة وخمسين درهما » .

محارب يرثي عمرا

قال محارب بن دثار في رثاء عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

لـــو أَعظـــمَ المـــوتُ خلقـــاً أن يواقعـــه ... لِعَدْلِـــهِ لـــم يصـــبك المـــوتُ يـــا عمـــرُ
كـــم مـــن شـــريعة عـــدل قـــد نعشـــت لهـــم ... كـــادت تمـــوت ، وأخـــرى منـــك تنتظـــرُ
يـــا لهـــف نفســـي ولهـــف الواجـــدين معـــي ... علـــى العـــدول التـــي تغتالهـــا الحفـــرُ
لـــو كنـــتُ أملـــك ، والأقـــدارُ غالبـــةٌ ... تـــأتي رواحـــاً وتبيانـــاً وتبتكـــر
صـــرفتُ عـــن عمـــر الخيـــرات مصـــرَعَهُ ... بـــدِيرِ ســـمعانَ ، لكـــنْ يغلـــب القـــدرُ

لتنزلنه غير موسد !

قال عمر بن عبد العزيز حين أنزل الوليد بن عبد الملك إلى قبره : لتنزلنه غير موسَّد ولا مُمَهَّد ، قد خلَّفتَ الأسلاب وفارقت الأحباب ، وسكنت التراب ، وواجهت الحساب ، فقيراً إلى ما قدمت ، غنياً عما أخَّرت .

كأنْ لم يمت أحد سواك

يقول أبو عمرو أشجع بن عمرو السلمي المري في رثاء عمر بن سعيد بن قتيبة بن مسلم الباهلي :

مضى ابنُ سعيد حيث لم يبق مشرقٌ ... ولا مغربٌ إلا لـه فيه مادحُ
وما كنت أدري ما فواضل كفه ... على الناس حتى غيبته الصفائحُ
وأصبح في لحدٍ من الأرض ضيقٍ ... وكانت به حياً تضيق الضحاضحُ
سأبكيك ما فاضت دموعي فإنْ تَغِضْ ... فحسبُك مني ما تجر الجوانحُ
فما أنا من رزئي وإن جلَّ جازعٌ ... ولا بسرورٍ بعد موتك فارحُ
كأن لم يمت حيٌّ سواك ولم تقمْ ... على أحد إلا عليك النوائحُ
لئن حَسُنَتْ فيك المراثي وذكرُها ... لقد حسنتْ من قبلُ فيك المدائحُ

قال ابن خلكان : وهي من أحسن المراثي

سليمان يصف الدنيا

عن جابر بن عون الأسدي .. قال : أول كلام تكلم به سليمان بن عبد الملك حين ولي الخلافة أن قال : الحمد لله الذي ما شاء صنع وما شاء رفع وما شاء وضع ، ومن شاء أعطى ومن شاء منع . إن الدنيا دارُ غرور ، ومنزلٌ باطل ، وزينةٌ تقلَّب ، تُضحك باكياً وتُبكي ضاحكاً ، وتُخيف آمناً وتؤمن خائفاً ، تُفقر مثريها ، وتثري فقيرها ، ميالة لاعبة بأهلها . يا عبادَ الله اتخذوا كتاب الله إماماً ، وارضوا به حَكَماً ، واجعلوه لكم قائداً ، فإنه ناسخ لما قبله ، ولم ينسخه كتاب بعده . اعلموا عبادَ الله أن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان وضغائنه كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفس أدبار الليل إذا عسعس .

وإنما أهل الدنيا على رحيل

قال حماد بن زيد ، عن يزيد بن حازم . قال : كان سليمان بن عبد الملك يخطبنا كل جمعة ، لا يدع أن يقول في خطبته : وإنما أهل الدنيا على رحيل ، لم تمض لهم نية ، ولم تطمئن بهم حتى يأتي أمرُ الله ووعدُه وهم على ذلك ، كذلك لا يدوم نعيمُها ، ولا تُؤمَنُ فجائعُها ، ولا تُبقي من شر أهلها ، ثم يتلو : ﴿**أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ۞ ثُمَّ جَاءهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ۞ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ**﴾ [الشعراء : 205-207] .

وهم خصماؤك عند الله

قال الشعبي : حج سليمان بن عبد الملك فلما رأى الناس بالموسم قال لعمر بن عبد العزيز : ألا ترى هذا الخلق الذي لا يحصي عددهم إلا الله ، ولا يسع رزقهم غيره ؟! ..

فقال : يا أمير المؤمنين ! هؤلاء رعيتك اليوم ، وهم غداً خصماؤك عند الله . فبكى سليمان بكاءً شديداً ، ثم قال : بالله أستعين .

الصمت منام العقل والنطق يقظته

من كلام سليمان بن عبد الملك الحسن :

– الصمت منام العقل والنطق يقظته ، ولا يتم هذا إلا بهذا .

– العاقل أحرص على إقامة لسانه منه على طلب معاشه .

– إن من تكلم فأحسن قادر على أن يسكت فيحسن ، وليس كل من سكت فأحسن قادراً على أن يتكلم فيحسن .

– ودخل عليه رجل فكلمه فأعجبه منطقه ، ثم فتشه فلم يحمد عقله ، فقال : فضل منطق الرجل على عقله خُدعة ، وفضل عقله على منطقه هُجنة ، وخير ذلك ما أشبه بعضُه بعضاً .

ما أحلى الوفاء !

ومن شعر سليمان بن عبد الملك يتسلى عن صديق له مات :

وهــوَّنَ وجــدي فــي شُــراحيلَ أننــي متــى شــئت لاقيــت امــرءاً مــات صــاحبه

ومن شعره أيضاً :

ومـــن شـــيمي ألا أفـــارقَ صـــاحبي وإنْ ملَّنـــي إلا ســـألتُ لـــه رُشـــدا

وإنْ دام لــي بــالودِّ دمــتُ ولــم أكــن كـــآخر لا يرعـــى ذِمامـــاً ولا عهـــدا

دنياك هذي بلغة ومتاع

قالوا : لما حُمَّ سليمانُ بن عبد الملك شرع يتوضأ ، فدعا بجارية فصبت عليه ماء الوضوء ثم أنشدته :

أنــت نعــم المتــاع لــو كنــت تبقــى غيـــــر أن لا بقـــــاء للإنســـــان

أنـــت خِلْـــوٌ مـــن العيـــوبِ ومـمـــا يكـــره النـــاس غيـــر أنـــك فـــان

قالوا : فصاح بها ، وقال : عزتني في نفسي ، ثم أمر خاله الوليد بن العباس القعقاع العنسي أن يصب عليه ، وقال :

قَـــرِّبْ وَضُـــوءَكَ يـــا وليـــدُ فإنمـــا دنيـــــاك هـــــذي بُلْغَـــــةٌ ومتـــــاعُ

فاعمـــل لنفســـك فـــي حياتـــك صـــالحاً فالـــــدهر فيـــــه فرقـــــةٌ وجمـــــاعُ

لست بمبتدع ولكني متبع

لما مات سليمان بن عبد الملك ، وبايع من كان حاضراً عمرَ بن عبد العزيز ، قام فخطب الناس خطبة بليغة وبايعوه ، فكان مما قال في خطبته : أيها الناس ، إني لست بمبتدع ولكني متبع ، وإنَّ من حولكم من الأمصار والمدن إنْ أطاعوا كما أطعتم فأنا واليكم ، وإن هم أبوا فلست لكم بوالٍ .

إن لي نفساً توَّاقة

يقال إن عمر بن عبد العزيز خطب الناس فقال في خطبته : أيها الناس إن لي نفساً تواقةً ، لا تُعطى شيئاً إلا تاقت إلى ما هو أعلى منه ، وإني لما أُعطيتُ الخلافةَ تاقت نفسي إلى ما هو أعلى منها ، وهي الجنة ، فأعينوني عليها يرحمكم الله .

الله أحق أن تخشاه

قالوا : كان التابعي الجليل عبد الله بن محيريز صموتاً معتزلاً للفتن ، وكان لا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ورأى على بعض الأمراء حُلَّةً من حرير فأنكر عليه ، فقال : إنما ألبسها من أجل هؤلاء – وأشار إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين – فقال له ابن محيريز : لا تعدل بخوفك من الله خوف أحد من المخلوقين .

أنكرتُ كل شيء خلا أملي

نقل عن أبي عثمان النهدي قوله :

أتت عليَّ ثلاثون ومائة سنة ، وما مني شيء إلا وقد أنكرته .. خلا أملي فإني أجده كما هو .

الكامل من عدت هفواته

قال الأحنف بن قيس : الكامل من عُدَّتْ هفواتُه ، ولا تعد إلا من قلة .

رأس العلم

قال داود الأودي : قال لي الشعبي : قم معي هاهنا حتى أفيدك علماً .. بل هو رأس العلم .
قلت : أي شيء تفيدني ؟ قال : إذا سئلت عما لا تعلم فقل : الله أعلم ، فإنه علمٌ حسن .

لعل لأخي عذراً لا أعلمه

قال أبو قلابة عبد الله بن يزيد البصري الجرمي :
إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له عذراً جهدك ، فإن لم تجد له عذراً فقل : لعل لأخي عذراً لا أعلمه .

تعلَّم العلم لنفسك

روى الأحجري ، عن سفيان ، عن ليث ، قال : قال لي طاوس : ما تعلمت من العلم فتعلمه لنفسك ، فإن الأمانة والصدق قد ذهبا من الناس .

الفقر وجار السوء

قال عكرمة : قال لقمان لابنه :

قد ذقت المِرار فلم أذق شيئاً أمرَّ من الفقر ، وحملتُ كل حملٍ ثقيل فلم أحمل أثقل من جار السوء ، ولو أن الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب .

وصفَه بالخرق ووصفتُك بالحزم

قالوا : دخل كُثَيِّرُ عِزَّة يوماً على عبد الملك بن مروان فامتدحه بقصيدته التي يقول فيها :

علــى ابــن أبــي العاصــي دروعٌ حصــينةٌ أجـــاد المســـدي ســـردَها وأدالهـــا

قال له عبد الملك : أفلا قلت كما قال الأعشى لقيس بن معد يكرب :

وإذا تجـــــيء كتيبـــــةٌ ملمومـــــةٌ شـــهباً ، ويخشـــى الذائـــدون صـــيالها

كنـــتَ المقـــدمَ غيـــرَ لابـــس جبـــة بالســـيف يضـــرب معلمـــاً أبطالهـــا

فقال : يا أمير المؤمنين وصفه بالخرق ووصفتك بالحزم .

لا يبقى للعاتب صاحب

من حِكَمِ كُثَيِّر عِزَّة قولُه :

ومـــن لا يغمـــضْ عينَـــه عـــن صـــديقهِ وعـــن بعـــض مـــا فيـــه يَمُـــتْ وهـــو عاتـــبُ

ومـــن يتتبَّـــعْ جاهـــداً كـــل عثـــرة يجـــدْها ولا يبقـــى لـــه الـــدهرَ صـــاحبُ

وهل كلُّ مودَّتُه تدومُ ؟!

من حكم جميل بثينة قوله :

لحـــا الله مَـــنْ لا ينفـــع الـــودُّ عنـــده ومَـــنْ حبلُـــه إنْ صـــدَّ غيـــرُ متـــينِ

ومَـــنْ هـــو ذو وجهـــين لـــيس بـــدائمٍ علـــى العهـــد ، حلاَّفـــاً بكـــل يمـــينِ

الكبائر ثلاثة

قال محمد بن كعب القرظي : الكبائر ثلاثة : أن تأمن مكر الله ، وأن تقنط من رحمة الله ، وأن تيأس من روح الله .

ثلاث خصال

قال محمد بن كعب القرظي :

إذا أراد الله بعبد خيراً جعل فيه ثلاث خصال : فقهاً في الدين ، وزهادة في الدنيا ، وبصراً بعيوب نفسه .

الدنيا دار قلق

قال محمد بن كعب القرظي :

الدنيا دار قلق ، رغب عنها السعداء ، وانتزعت من أيدي الأشقياء ، فأشقى الناس بها أرغب الناس فيها ، وأزهد الناس فيها أسعد الناس بها ، هي الغاوية لمن أضاعها ، المهلكة لمن اتبعها ، الخائنة لمن انقاد لها ، علمها جهل ، وغناؤها فقر ، وزيادتها نقصان ، وأيامها دول .

أخافُ من : لا أغفرُ لك

قال محمد بن كعب القرظي :

ما يؤمِّنُني أن يكون الله قد اطلع عليَّ في بعض ما يكره فمقتني ، وقال : اذهب لا أغفر لك ، مع أن عجائب القرآن تردني على أمور حتى إنه لينقضي الليل ولم أفرغ من حاجتي .

تصلُ الذنوبَ إلى الذنوبِ !!

ذكر ابن كثير بيتين من شعر الحكمة ولم يذكر القائل :

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي درج الجنان وطيب عيش العابد

ونسيت أن الله أخرج آدماً منها إلى الدنيا بذنب واحد

أفخر بيت قاله جرير

قال ابن خلكان : كان جرير أشعرَ من الفرزدق عند الجمهور ، وأفخرُ بيت قاله جرير :

إذا غضـــبتْ عليـــك بنـــو تمـــيمٍ حســـبتَ النـــاسَ كُلَّهـــمُ غِضـــابا

حادثوا القلوب واقذعوا الأَنفس

روى ابن أبي الدنيا عن الحسن البصري قال :

حادثوا هذه القلوب فإنها سريعة الدثور ، وأقذعوا هذه الأنفس فإنها تنزع إلى شر غاية .

الناس في العافية والبلاء

قال الحسن البصري :

الناس في العافية سواء ، فإذا نزل البلاء تبين عنده الرجال .

وفي رواية :

فإذا نزل البلاء سكن المؤمن إلى إيمانه ، والمنافق إلى نفاقه .

كلمات في اليقين .. للحسن

قال الحسن البصري :

يا ابن آدم ! إن من ضعف يقينك أن تكون بما في يدك أوثق منك بما في يدي الله عز وجل .

وقال أيضاً :

ما أيقن عبد بالجنة والنار حق يقينهما إلا خشع وذبل ، واستقام واقتصد حتى يأتيه الموت .

وقال :

باليقين طلبتُ الجنة ، وباليقين هربتُ من النار ، وباليقين أديت الفرائض على أكمل وجهها ، وباليقين أصبر على الحق ، وفي معافاة الله خيرٌ كثير . قد والله رأيناهم يتعاونون في العافية ، فإذا نزل البلاء تفارقوا .

فتوى الحسن البصري في الغيبة

روي ابن أبي الدنيا قول الحسن البصري في الغيبة :

«واللهِ لَلْغيبةُ أسرعُ في دين المؤمن من الأكلة في جسده» .

وقال : «ليس بينك وبين الفاسق حرمة» .

وقال : «ليس لمبتدع غيبة» .

وقال أصلتُ بن طريف : قلت للحسن : الرجلُ الفاجرُ المعلنُ بفجوره .. ذكري له بما فيه غيبة ؟ ، قال : «لا .. ولا كرامة» .

وقال : «إذا ظهر فجوره .. فلا غيبة له» .

وقال أيضاً : «ثلاثةٌ لا تحرم عليك غيبتهم : المجاهرُ بالفسق .. والإمامُ الجائر .. والمبتدع» .

اشتغل بصلاح عيبك

كان الحسن البصري يقول :

ابنَ آدم ! إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تصيب الناس بعيب هو فيك ، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك ، فإذا فعلت ذلك كان ذلك شغلك في طاعة نفسك ، وأحب العباد إلى الله من كان هكذا .

النفس اللوامة

قال الحسن البصري في قوله تعالى :

﴿**وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**﴾ [القيامة : 2] قال :

لا تلقى المؤمنَ إلا يلوم نفسه : ما أردتِ بكلمة كذا ، ما أردتِ بأكلة كذا ، ما أردت بمجلس كذا . وأما الفاجر فيمضي قدماً قدماً لا يلوم نفسه .

توجيهاتٌ حَسَنِيَّة

قال الحسن البصري :

لا يزال العبد بخير ما كان له واعظٌ من نفسه ، وكانت المحاسبة من همته .

وقال :

ابنَ آدم عن نفسك فكايس ، فإنك إن دخلت النار لم تُخْبَرْ بعدها أبداً .

وقال أيضاً :

المؤمن في الدنيا كالغريب ؛ لا ينافِس في غِيَرِها ولا يجزع من ذلها ، للناس حال وله حال ، الناس منه في راحة ، ونفسه منه في شغل .

وقال :

ابنَ آدم ! إنك ناظر غداً إلى عملك يوزن خيرُه وشرُّه ، فلا تحقرن شيئاً من الشر أن تتقيه .

وقال أيضاً :

ابن آدم بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً ، ولاتبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً .

شكر النعمة أَمْنٌ والطمعُ عَطَبٌ

يروى عن الحسن البصري أنه قال :

من جعل الحمد لله على النِّعم حصناً وحابساً ، وجعل أداء الزكاة على المال سياجاً وحارساً ، وجعل العلم له دليلاً وسائساً ، أمن العطب ، وبلغ أعلى الرتب .

ومن كان للمال قانصاً ، وله عن الحقوق حابساً ، وشغله وألهاه عن طاعة الله ، كان لنفسه ظالماً ، ولقلبه بما جنت يداه كالماً ، وسلط الله على ماله سالباً وخالساً ، ولم يأمن العطب في سائر وجوه الطلب .

أَربعٌ

قال الحسن البصري :

أربعٌ مَنْ كُنَّ فيه ألقى الله عليه محبته ، ونشر عليه رحمته : من رقَّ لوالديه ، ورق لمملوكه ، وكفل اليتيم ، وأعان الضعيف .

وما الدنيا بباقية لحيٍ

كان الحسن يتمثل بهذا البيت في أول النهار ، يقول :

ومـــا الـــدنيا بباقيـــة لحـــيٍّ ولا حـــيٌّ علـــى الـــدنيا ببـــاقِ

وبهذا البيت في آخر النهار :

يســر الفتــى مــا كــان قــدَّم مــن تقــى إذا عــرف الــداءَ الــذي هــو قاتلُــهْ

اذكروا حسنات إخوانكم

كان محمد بن سيرين إذا ذُكر عنده رجل بسوء ذكره بأحسن ما يعلم .

وكان يقول : ظلمٌ لأخيك أن تذكرَ أسوأَ ما تعلم منه .. وتكتمَ خيرَه ! .

القلب أنفع واعظ

قال محمد بن سيرين :

إذا أراد الله بعبد خيراً .. جعل له واعظاً من قلبه .. يأمره وينهاه .

أفضلهما أنصحهما

سُئِلَ وهبُ بن منبه عن رجلين يصليان ، أحدهما أطول قنوتاً وصمتاً ، والآخر أطول سجوداً ، فأيهما أفضل ؟

فقال : أنصحهما لله عزَّ وجلّ .

من خصال المنافق

قال وهب بن منبه :

من خصال المنافق أن يحب الحمد ويكره الذم ، أي يحب أن يُحمد على ما لم يفعل ، ويكره أن يذم بما فيه .

أيها الناس !!

وقال وهب بن منبه في موعظته :

أيها الناس !! إنما أنتم في هذه الدنيا غرض تنتضل فيها المنايا ، وإن ما أنتم فيه من دنياكم نهب للمصائب ، لا تنالون فيها نعمة إلا بفراق الأخرى ، ولا يستقبل منكم معمر يوماً من عمره إلا بهدم آخرَ من أَجَله ، ولا يتخذ له زيادة في ماله إلا بنفاد ما قبله من رزقه ، ولا يحيا له أثر إلا مات له أثر .

أزهد الناس وأجودهم

قال وهب بن منبه :

أزهد الناس في الدنيا –وإن كان عليها حريصاً– مَنْ لم يرض منها إلا بالكسب الحلال الطيب ، مع حفظ الأمانات .

وأرغب الناس فيها –وإن كان عنها معرضاً– من لم يبال من أين كسبه منها حلالاً كان أو حراماً .

وإن أجود الناس في الدنيا من جاد بحقوق الله عزَّ وجلَّ ، وإن رآه الناس بخيلاً فيما سوى ذلك.

وإن أبخل الناس في الدنيا من بخل بحقوق الله عزَّ وجلَّ ، وإن رآه الناس جواداً فيما سوى ذلك.

حكم وهبية

قال وهب بن منبه :

مثل من تعلم علماً لا يعمل به كمثل طبيب معه شفاء لا يتداوى به .

وقال :

إذا كان في الصبي خُلُقان : الحياء والرهبة ، طُمع في رشده .

وقال :

إذا صام الإنسان زاغ بصره ، فإذا أفطر على حلاوة عاد بصره .

وقال :

مثل الذي يدعو بغير عمل .. مثل الذي يرمي بغير وتر .

وقال :

ترك المكافأة من التطفيف .

وقال :

من يتعبَّد يزددْ قوة ، ومن يتكسَّلْ يزددْ فترة .

وقال :

تصدَّقْ صدقة رجل يعلم أنه إنما قدَّم بين يديه مالَه وما خلّف مال غيره .

وقال :

لا يكون المرء حكيماً حتى يطيع الله عزَّ وجلّ .. ولا يعصي الله إلا أحمق .

احفظوا عني ثلاثاً

قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم حدثني عبد الصمد أنه سمع وهب بن منبه على المنبر يقول :

احفظوا عني ثلاثاً ، إياكم وهوىً متبعاً ، وقرينَ السوء ، وإعجابَ المرءِ بنفسه .

طوبى

قال جعفر بن برقان : بلغنا أن وهب بن منبه كان يقول : طوبى لمن نظر في عيبه عن عيب غيره ، وطوبى لمن تواضع لله من غير مسكنة ، ورحم أهل الذل والمسكنة ، وتصدق من مال جمعه من غير معصية ، وجالس أهل العلم والحلم والحكمة ، ووسعته السنة ولم يتعدها إلى البدعة .

رؤوس النعم ثلاثة

قال وهب بن منبه :

رؤوس النعم ثلاثة :

إحداها : نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة إلا بها .

والثانية : نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها .

والثالثة : نعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا بها .

الظلمُ نقمةٌ والعدلُ بركةٌ

قال وهب بن منبه :

إذا همَّ الوالي بالجور ، أو عمل به ، دخل النقص على أهل مملكته ، وقلّت البركات في التجارات والزراعات والضروع والمواشي ، ودخل المحقُ في ذلك ، وأدخل الله عليه الذل في ذاته وفي ملكه .

وإذا همّ بالعدل والخير كان عكس ذلك ، من كثرة الخير ونمو البركات .

ثلاثٌ من كنّ فيه أصاب البر

روى ابن أبي الدنيا عن وهب بن منبه أنه قال :

ثلاثٌ من كنّ فيه أصاب البر : سخاوة النفس ، والصبر على الأذى ، وطيب الكلام .

أنصت لمحدِّثي كأني غير عالم

قال عطاء بن أبي رباح : إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأني لم أكن سمعته ، وقد سمعته قبل أن يولد ، فأريه أني إنما سمعته الآن منه .

حكمتان عطائيتان

قال عطاء بن أبي رباح :

ينبغي للعبد أن يكون كالمريض ، لا بدّ له من قوت وليس كل الطعام يوافقه .

وقال :

النعمة تعمي عين الحكيم فكيف بالجاهل ؟ ولا تغبطن ذا نعمة بما هو فيه ، فإنك لا تدري إلى ماذا يصير بعد الموت .

صاحب الدنيا واللص !!

قال خالد بن يزيد : سمعت محمد بن علي بن الحسين يقول : قال عمر بن الخطاب :

إذا رأيتم القاريء يحب الأغنياء فهو صاحب الدنيا ، وإذا رأيتموه يلزم السلطان فهو لص ! .

من حكم محمد بن علي

قال محمد بن علي ، الباقر : سلاحُ اللئام قبيحُ الكلام .

وقال : لكل شيء آفة ، وآفة العلم النسيان .

وقال : الغنى والعز يجولان في قلب المؤمن ، فإذا وصلا إلى مكان فيه التوكل أوطناه .

وقال : إياكم والخصومة ، فإنها تفسد القلب وتورث النفاق .

وقال : من أُعطيَ الْخُلق والرفق فقد أعطي الخير والراحة ، وحَسُنَ حالُه في دنياه وآخرته ، ومن حُرمهما كان ذلك سبيلاً إلى كل شرٍ وبلية ، إلا من عصمه الله .

وقال : اعرف مودة أخيك لك بماله في قلبك من المودة ، فإن القلوب تتكافأ .

الكسل والضجر مفتاح كل خبيثة

قال محمد بن علي بن الحسين لابنه :

إياك والكسلَ والضجرَ فإنهما مفتاح كل خبيثة : إنك إذا كسلت لم تؤد حقاً ، وإن ضجرت لم تصبر على حق .

اليقين خطرات والكبر نقص في العقل

قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين :

الإيمان ثابت في القلب ، واليقين خطرات ، فيمر اليقين بالقلب فيصير كأنه زبر الحديد ، ويخرج منه فيصير كأنه خرقة بالية ، وما دخل قلبَ عبدٍ شيءٌ من الكِبْرِ إلا نقص من عقله بقدره أو أكثر منه .

أشد الأعمال ثلاثة

قال محمد بن علي بن الحسين :

أشد الأعمال ثلاثة :

- ذكر الله على كل حال .
- وإنصافك من نفسك .
- ومواساة الأخ في المال .

عظَّمه في عيني صغر الدنيا في عينه

قال محمد بن علي بن الحسين :

كان لي أخ في عيني عظيم ، وكان الذي عظمه في عيني صِغرُ الدنيا في عينه .

كلمات جوامع

قال محمد بن علي :

ما من عبادة أفضل من عفة بطن أو فرج ، وما من شيء أحب إلى الله عزَّ وجلَّ من أن يسأل ، وما يدفع القضاء إلا الدعاء .

وإن أسرع الخير ثواباً البر ، وأسرع الشر عقوبة البغي ، وكفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه ، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع أن يفعله ، وينهى الناس بما لا يستطيع أن يتحول عنه ، وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه .

لقد غرّت الدنيا رجالاً ..!!

ذكر ابن كثير أبياتاً تتضمن حكماً وزهداً ولم ينسبها لقائل :

لقد غرَّت الدنيا رجالاً فأصبحوا بمنزلةٍ ما بعدها متحوّلُ
فساخطُ أمرٍ لا يُبدّل غيرُه وراضٍ بأمر غيرُه سيبدلُ
وبالغُ أمرٍ كان يأمل دونه ومختلجٌ من دون ما كان يأملُ

من وثق بالله كان الله معه

قال قتادة بن دعامة السدوسي :

من وثق بالله كان الله معه ، ومن يكن الله معه تكن معه الفئة التي لا تغلب ، والحارس الذي لا ينام ، والهادي الذي لا يضل ، والعالم الذي لا ينسى .

أفضل من عبادة حول كامل !

قال قتادة بن دعامة السدوسي :

باب من العلم يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه ، وصلاح دينه ، وصلاح الناس ، أفضل من عبادة حول كامل .

وقال :

لو كان يُكتفى من العلم بشيء لاكتفى موسى عليه السلام بما عنده ، ولكنه طلب الزيادة .

دوام المودة

روى الطبراني عن إمام أهل الجزيرة ميمون بن مهران أنه قيل له :

مالك لا يفارقك أخ لك عن قلى ؟!

قال : لأني لا أماريه ولا أشاريه .

ولكنْ كان يكره المعصية

قال عمر بن ميمون بن مهران :

ما كان أبي يكثر الصلاة ولا الصيام ، ولكن كان يكره أن يعصى الله عزَّ وجلّ .

لا تمارين عالماً ولا جاهلاً

قال ميمون بن مهران :

لا تمارينَّ عالماً ولا جاهلاً ، فإنك إن ماريت عالماً خزن عنك علمه ، وإن ماريت جاهلاً خشن بصدرك .

شر الناس من اتخذ العلم بضاعة

قال جعفر بن برقان : سمعت ميمون بن مهران ، يقول :

إن هذا القرآن قد خَلِقَ في صدور كثير من الناس فالتَمسوا ما سواه من الأحاديث ، وإن فيمن يتبع هذا العلم قوماً يتخذونه بضاعة يُلتمس بها الدنيا ، ومنهم من يريد أن يماري به ، وخيرهم من يتعلمه ويطيع الله عزَّ وجلَّ به .

القرآنُ شاهدٌ لك أو عليك

قال ميمون بن مهران :

من اتبع القرآن قاده القرآن حتى يحل به الجنة ، ومن ترك القرآن لم يدعه القرآن يتبعه حتى يقذفه في النار ! .

اجعل بينك وبين الحرام حاجزاً

روى الإمام أحمد بسنده عن ميمون بن مهران قال :

لا يَسْلَمُ للرجل الحلالُ حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال .

كيف تعلم منزلتك عند الله ؟

قال ميمون بن مهران :

من كان يريد أن يعلم ما منزلته عند الله ؟ فلينظر في عمله ، فإنه قادم عليه كائناً ما كان .

ما أجمل هذا الكلام ؟!!

قال ميمون بن مهران : لأَنْ أوتمن على بيت مالِ أحب إليَّ من أن أؤتمن على امرأة .

وقال : ما عرضت قولي على عملي إلا وجدت من نفسي اعتراضا .

وقال جعفر بن برقان : قال لي ميمون : قل لي في وجهي ما أكره ، فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره .

لو أخرج الأغنياء ما عليهم

قال ميمون بن مهران :

لو أن كل إنسان منا يتعاهد كسبه ، فلم يكسب إلا طيباً ، ثم أخرج ما عليه ، ما احتيج إلى الأغنياء ، ولا احتاج الفقراء .

العلماء هم ضالتي

قال ميمون بن مهران :

العلماء هم ضالتي في كل بلدة ، وهم أحبتي في كل مِصْرٍ ، ووجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء .

الصدقة قبل الموت وبعده

قال ميمون بن مهران :

لأن أتصدق بدرهم في حياتي أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم بعد موتي .

الذِّكرُ ذِكران

قال ميمون بن مهران :

كان يقال : الذكر ذكران :

1- ذكر الله باللسان .

2- وأفضل من ذلك أن تذكره عندما أحل وحرم ، وعند المعصية فتكف عنها وقد أشرفت .

الطاعة نور البصيرة والذنب عمى القلب

قال جعفر بن برقان : سمعت ميمون بن مهران يقول :

إن العبد إذا أذنب ذنباً نكت في قلبه نكتة سوداء ، فإذا تاب محيت من قلبه ، فترى قلب المؤمن مجلياً مثل المرآة ، ما يأتيه الشيطان من ناحية إلا أبصره .

وأما الذي يتتابع في الذنوب ، فإنه كلما أذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه ، فلا يبصر الشيطان من أين يأتيه .

نصيحة إلى الآباء والمربين

قال ميمون بن مهران :

لا تعذب المملوك ولا تضربه على كل ذنب ، ولكن احفظ ذلك له ، فإذا عصى الله عزَّ وجلَّ فعاقبه على معصية الله ، وذكِّره الذنوب التي أذنب بينك وبينه .

حاسب نفسك محاسبة الشريك شريكه

قال جعفر بن برقان : سمعت ميمون بن مهران يقول :

لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه ، حتى يعلم من أين مطعمه ، ومن أين مشربه ، أمن حلال ذلك أم من حرام ؟ .

الفاسق بمنزلة السبع

روى أبو زرعة الدارمي بسنده أن ميمون بن مهران قال :

الفاسق بمنزلة السبع ، فإذا كُلِّمْتَ فيه فخلّيت سبيله فقد خليت سبعاً على المسلمين .

إذا ثبتت المودة في القلوب

قال جعفر بن برقان : قلت لميمون بن مهران : إن فلاناً يستبطيء نفسه في زيارتك ، قال : إذا ثبتت المودة في القلوب فلا بأس وإن طال المكث .

ومن أساء علانية فليتب علانية

قال ميمون بن مهران :

من أساء سراً فليتب سراً ، ومن أساء علانية فليتب علانية ، فإن الله يغفر ولا يُعيِّر ، وإن الناس يعيِّرون ولا يغفرون .

من حكم إياس

من كلام إياس بن معاوية الحسن :

لأنْ يكون في فعال الرجل فضلٌ عن مقاله خيرٌ من أن يكون في مقاله فضل عن فعاله .

وقال أيضا :

إن أشرف خصال الرجل صدقُ اللسان ، ومن عُدم فضيلة الصدق فقد فُجِعَ بأكرم أخلاقه .

فطنة إياس القاضي

جاء رجل إلى إياس بن معاوية فقال له : إني أودعت عند فلان مالاً وقد جحدني ، فقال له إياس : إذهب الآن وائتني غداً . وبعث من فوره إلى ذلك الرجل الجاحد فقال له : إنه قد اجتمع عندنا ههنا مال فلم نرَ له أميناً نضعه عنده إلا أنت ، فضعه عندك في مكان حريز ، فقال له الرجل : سمعاً وطاعة . فقال له : اذهب الآن وائتني غدا .

وأصبح ذلك الرجل صاحب الحق فجاء ، فقال له إياس : اذهب الآن إليه فقل له :

أعطني حقي وإلا رفعتك إلى القاضي . فقال له ذلك ، فخاف أن لا يُودَع إذا سمع القاضي خبره ، فدفع إليه ماله بكماله ، فجاء إلى إياس فأعلمه ، ثم جاء ذلك الرجل من الغد رجاء أن يودع فانتهره إياس وطرده ، وقال له : أنت خائن .

لست آسى إلاّ على ثلاث

قال محمد بن واسع : ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث : صاحب إذا اعوججت قومني ، وصلاة في جماعة يُحمل عني سهوها وأفوز بفضلها ، وقوت من الدنيا ليس لأحد فيه منّة ، ولا لله علي فيه تبعة .

ثلاثة إذا كن في القاضي ..

قال محمد بن مسلم المشهور بالزهري :

ثلاثة إذا كن في القاضي فليس بقاضٍ : إذا كره الملاوم ، وأحب المحامد ، وكره أن يعزل .

طول المجلس والشيطان !

قال الإمام الزهري محمد بن مسلم : إذا طال المجلس كان للشيطان فيه حظ ونصيب .

نصائح عالم عامل

قال الإمام الزهري محمد بن مسلم :

إن من غوائل العلم أن يترك العالم العمل بالعلم حتى يذهب ، وإن من غوائله قلَّةَ انتفاع العالم بعلمه ، ومن غوائله النسيان والكذب ، وهو أشد الغوائل .

وقال :

للعلم وادٍ فإذا هبطت واديه فعليك بالتؤدة حتى تخرج منه ، فإنك لا تقطعه حتى يقطع بك .

وقال : كنا نأتي العالم ، فما نتعلم من أدبه أحب إلينا من علمه .

وكان الزهري ينزل بالأعراب يعلمهم لئلا ينسى العلم ، وقال :

إنما يُذهب العلمَ النسيانُ وترك المذاكرة .

وقال : إن هذا العلم إنْ أخذته بالمكابرة غلبك ولم تظفر منه بشيء ، ولكن خذه مع الأيام والليالي أخذاً رفيقاً تظفر به .

وقال : ما أحدث الناس مروءة أعجب إليَّ من الفصاحة .

وقال : لا يُوثِّق الناس علمَ عالمٍ لا يعمل به ، ولا يؤمن بقول عالم لا يُرضي .

وعن يونس قال : قال الزهري : إياك وغلول الكتب ، قلت : وما غلولها ؟ قال : حبسها عن أهلها .

عروة أفقه والشهرة لسعيد

روى الأصمعي ، عن مالك بن أنس ، عن ابن شهاب الزهري قال : جلست إلى ثعلبة بن أبي معين فقال : أراك تحب العلم ؟ ، قلت : نعم . قال : فعليك بذاك الشيخ -يعني سعيد بن المسيب- قال : فلزمتُ سعيداً سبع سنين ثم تحوَّلت عنه إلى عروة بن الزبير ففجَّرت ثبج بحره . وقال الزهري : ما صبر أحد على العلم صبري ، وما نشره أحد قط نشري ، فأما عروة بن الزبير فبئرٌ لا تكدِّرُه الدلاء ، وأما ابن المسيب فانتصب للناس فذهب اسمه كل مذهب .

ذهب الشباب فلا يعود جُمانا ..!

وكان الزهري يتمثل كثيراً بهذا :

ذهب الشبابُ فلا يعود جُمانا وكأن ما قد كان لم يك كانا

فطويت كفي يا جُمان على العصا وكفى جُمان بطيِّها حدثانا

إن من ابتغاء الخير اتقاءَ الشر !!

قال الزهري محمد بن مسلم :

استكثروا من شيء لا تمسه النار .

قال : وما هو ؟

قال : المعروف .

وامتدحه رجل مرة فأعطاه قميصه . فقيل له : أتعطي على كلام الشيطان ؟! فقال : إن من ابتغاء الخير اتقاءَ الشر .

الزهريُّ يعرِّف الزاهد

قال سفيان : سئل الزهري محمد بن مسلم عن الزاهد ؟ ، فقال : من لم يمنع الحلالُ شُكرَه ، ولم يغلب الحرام صبره .

العبادة .. والعلم .. والصبر ..

كان ابن شهاب الزهري يقول :

العبادة هي : الورع والزهد ،

والعلم هو : الحسنة ،

والصبر هو : احتمال المكاره ، والدعوة إلى الله على العمل الصالح .

زاهدُكم راغبٌ .. وعالمكم جاهل !

كان التابعي الجليل بلال بن سعد صاحب مواعظ بليغة ، من ذلك قوله :

والله لكفى به ذنباً أن الله يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها ؛ زاهدكم راغبٌ ، وعالمكم جاهل ، ومجتهدكم مقصر .

أخوك من بصَّرَك بعيوبك

قال بلال بن سعد :

أخٌ لك كلما لقيك ذكَّرك بنصيبك من الله ، وأخبرك بعيب فيك ، أحبُ إليك ، وخيرٌ لك من أخ كلما لقيك وضع في كفِّك دينارا .

لا تكن ولياً لله في العلانية وعدوَّه في السر !

كان بلال بن سعد ، التابعي الزاهد يقول :

لا تكن ولياً لله في العلانية وعدوّه في السر ، ولا تكن عدو إبليس والنفس والشهوات في العلانية وصديقهم في السر ، ولا تكن ذا وجهين ، وذا لسانين فُتظهرَ أنك تخشى الله ليحمدوك وقلبك فاجر ! .

إنكم تعملون في أيام قصار لأيام طوال !

قال بلال بن سعد :

عبادَ الرحمن إنكم تعملون في أيام قصار لأيام طوال ، وفي دار زوال إلى دار مقام ، وفي دار حَزْنٍ ونصب لدار نعيم وخلود ، فمن لم يعمل على يقينٍ فلا ينتفعن .

عبادَ الرحمن لو قد غُفرت خطاياكم الماضية لكان فيما تستقبلون لكم شغلاً ، ولو عملتم بما تعلمون لكان لكم مقتداً وملتجا .

عبادَ الرحمن ، أما ما وكلتم به فتضيعونه ، وأما ما تكفل الله لكم به فتطلبونه ، ما هكذا نعتَ الله عباده الموقنين ، ! أذوو عقول في الدنيا وبلهٌ في الآخرة ، وعميٌّ عما خُلقتم له بصراءُ في أمر الدنيا ؟! فكما ترجون رحمة الله بما تؤدون من طاعته ، فكذلك أشفقوا من عذابه بما تنتهكون من معاصيه .

عبادَ الرحمن هل جاءكم مخبرٌ يخبركم أن شيئاً من أعمالكم قد تُقُبِّلَ منكم ؟! ، أو شيئاً من خطاياكم قد غفر لكم ؟! ، ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ**﴾ [المؤمنون : 115] ؟ ، واللهِ لو عُجِّلَ لكم الثواب في الدنيا لاستقللتم ما فرض عليكم ، أترغبون عن طاعة الله لدار معمورة بالآفات ؟ ، ولا ترغبون وتنافسون في جنة أكلها دائمٌ وظِلُّها ، وعرضها عرض الأرض والسماوات ﴿... **تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّار**﴾ [الرعد : 35] !! .

الذِّكر الحسن الجميل والذِّكر الأفضل

قال بلال بن سعد :

الذِّكر ذكران : ذكر الله باللسان حسن جميل ، وذكر الله عندما أحل وحرم أفضل .

أيها المسوِّفون اعملوا بنية خالصة !

قال بلال بن سعد في موعظته :

عبادَ الرحمن ! يُقال لأحدنا : تحب أن تموتَ ؟ ، فيقول : لا ! ، فيقال له : لِمَ ؟! فيقول : حتى أعمل ، فيقال له : اعمل ! ، فيقول : سوف أعمل . فلا يحب أن يموت ، ولا يحب أن يعمل ! ، وأحب شيء إليه أن يؤخر عمل الله ، ولا يحب أن يؤخر الله عنه عَرَضَ دنياه ! .

عبادَ الرحمن ! إن العبد ليعمل الفريضة الواحدة من فرائض الله وقد أضاع ما سواها ، فما يزال يمنيه الشيطان ، ويزين له ، حتى ما يرى شيئاً دون الجنة ، مع إقامته على معاصي الله ! .

عبادَ الرحمن ! قبل أن تعملوا أعمالكم فانظروا ماذا تريدون بها ؟ ، فإن كانت خالصة فامضوها ، وإن كانت لغير الله فلا تشقُّوا على أنفسكم ، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً ، فإنه قال : ﴿... **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** ...﴾ [فاطر : 10] .

إن الله يقبل المقبل ويدعو المدبر !

قال بلال بن سعد :

إن الله ليس إلى عذابكم بالسريع ؛ يقبل المقبل ، ويدعو المدبر ! .

اللحوح المماري المعجب برأيه !

قال بلال بن سعد :

إذا رأيت الرجل متحرجاً لحوحاً مارياً معجباً برأيه فقد تمت خسارته !! .

ألستم مقرِّين بالإساءة ؟

قال الأوزاعي : خرج الناس بدمشق يستسقون ، فقام فيهم بلال بن سعد فقال : يا معشر من حضر ، ألستم مقرِّين بالإساءة ؟ ، قالوا : نعم ، فقال : اللهم إنك قلت : ﴿... **مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ** ...﴾ [التوبة : 91] ، وقد أقررنا بالإساءة فاعف عنا واغفر لنا .

قال : فسقوا يومهم ذاك .

حكمتان لبلال بن سعد

قال بلال بن سعد : لا تنظر إلى صغر الذنب وانظر إلى من عصيت .

وقال : من بادأك بالود فقد استرقك بالشكر .

دعاء

كان من دعاء بلال بن سعد :

اللهم إني أعوذ بك من زيغ القلوب ، ومن تبعات الذنوب ، ومن مرديات الأعمال ، ومُضِلاَّتِ العين .

كفاكم حب الدنيا عقوبة

قال الأوزاعي : قال بلال بن سعد :

عبادَ الرحمن ! لو أنكم لم تَدَعُوا إلى الله طاعة إلا عملتموها ولا معصية إلا اجتنبتموها ، إلا أنكم تحبون الدنيا لكفاكم ذلك عقوبة عند الله عزَّ وجلّ .

ثلاثةٌ لا يضعن الشريف

قال هشام بن عبد الملك :

ثلاثة لا يضعن الشريف : تعاهد الصنيعة ، وإصلاح المعيشة ، وطلب الحق وإنْ قلّ .

بيت شعر يتيم!

قال أبو بكر الخرائطي : يقال إن هشام بن عبد الملك لم يقل من الشعر سوى هذا البيت :

إذا أنت لم تعصِ الهوى قادك الهوى إلى كل ما فيه عليك مقالُ

اللسان بضعة من الإنسان

قال الأصمعي : خطب عبد الملك –بن مروان– فَحُصِر ، فقال : إن اللسان بضعة من الإنسان ، وإنا نسكت حَصْراً ولا ننطق هَذْراً ، ونحن أمراءُ الكلام ؛ فينا رسخت عروقُه ، وعلينا تدلَّتْ أغصانُه ، وبعد مقامنا هذا مقام ، وبعد عِيِّنا هذا مقال ، وبعد يومنا هذا أيام ؛ يُعرف فيها فصل الخطاب وموضع الصواب .

أسرع إليك الشيب

قال الأصمعي : قيل لعبد الملك –بن مروان– : أسرعَ إليك الشيب !

فقال : وكيف لا وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين ؟! .

وقال غيره : قيل لعبد الملك : أسرعَ إليك الشيب ! .

فقال : وتنسى ارتقاءَ المنبر ومخافةَ اللحن ! .

إذا عززت بالله فاعف له

قال أبو بكر بن دريد :

كتب عبد الملك –بن مروان– إلى الحجاج في أيام ابن الأشعث : إنك أعزُّ ما تكون بالله أحوجُ ما تكون إليه ، وأذلُّ ما تكون للمخلوق أحوج ما تكون إليهم ، وإذا عززت بالله فاعفُ له ، فإنك به تعز وإليه ترجع .

اعفني من أربع وقل ما شئت

كان عبد الملك –بن مروان– يقول للرسول إذا قدم عليه من الآفاق : اعْفِنِي من أربعٍ .. وقُلْ ما شئت :

1- لا تُطْرِنِي .
2- ولا تُجْبْني فيما لا أسألك عنه .
3- ولا تكذبني .
4- ولا تحملني على الرعية .. فإنهم إلى رأفتي ومعدلتي أحوج .

أي الرجال أفضل

قيل لعبد الملك –بن مروان– : أي الرجال أفضل ؟ . قال : من تواضع عن رِفْعَةٍ ، وزَهِدَ عن قُدرة ، وترك النُّصرةَ عن قُوة .

حكمـة

كان عبد الملك –بن مروان– يقول :
لا طمأنينة قبل الخبرة ، فإن الطمأنينة قبل الخبرة ضد الحزم .

يا ليتني كنت غسالاً

لما احتضر عبد الملك –بن مروان– سمع غسالاً يغسل الثياب ، فقال : ما هذا ؟

فقالوا : غسال .

فقال : يا ليتني كنت غسالاً أكسب ما أعيش به يوماً بيوم ، ولم أَلِ الخلافةَ ، ثم تمثَّل فقال :

لَعَمْري لقد عُمِّرتُ في المُلكِ بُرْهَةً ودانتْ لِيَ الدنيا بوَقْعِ البواتِرِ
وأُعْطيتُ حُمْرَ المالِ والحُكْمِ والنُّهى ولي سلَّمت كلُّ الملوكِ الجبابرِ
فأضحى الذي قد كان مما يسرُّني كَحُلْمٍ مضى في المُزْمِناتِ الغوابرِ
فيا ليتني لم أُعْنَ بالمُلْكِ ليلةً ولم أسعَ في لذات عَيْشٍ نواضِرِ

كيف تجدك؟

قال أبو مسهر : قيل لعبد الملك –بن مروان– في مرض موته : كيف تجدك ؟ .

فقال : أجدني كما قال الله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ** ...﴾ [الأنعام : 94]

وإن كثيركَ لحقير

يروى أن عبد الملك –بن مروان– لما حضرته الوفاةُ ، قال : ارفعوني ! ، فرفعوه حتى شمَّ الهواء ، وقال : يا دنيا ما أطيبك ! إن طويلَكِ لَقصير ، وإن كثيرك لحقير ، وإنا كنا بك لفي غُرور، ثم تمثّل بهذين البيتين :

إنْ تُنـــاقِشْ يكـــنْ نقاشُـــكَ يـــا ربُّ عـــــذاباً لا طـــــوقَ لـــــي بالعـــــذابِ

أو تَجَـــــاوَزْ فأنـــــتَ ربٌّ صـــــفوحٌ عـــــن مســـــيءٍ ذنوبُـــــهُ كـــــالترابِ

إقهروا طول الأمل بِقِصَرِ الأَجل

قال الشعبي : سمعت الْحَجَّاج تكلم بكلام ما سبقه إليه أحد ، يقول :

أما بعد : فإن الله تعالى كتب على الدنيا الفناء ، وعلى الآخرة البقاء ، فلا فناء لما كُتب عليه البقاء ، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء ، فلا يغرَّنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة ، واقهروا طول الأمل بقصر الأجل .

الإنسان والأرض

كان الحجاج يقول في خطبته –وكان لَسِناً– : إن الله خلق آدم وذريته من الأرض ، فأمشاهم على ظهرها ، فأكلوا ثمارها ، وشربوا أنهارها ، وهتكوها بالمساحي والمرور ، ثم أدال الله الأرض منهم فردهم إليها ، فأكلت لحومهم كما أكلوا ثمارها ، وشربت دماءهم كما شربوا أنهارها ، وقطعتهم في جوفها وفرّقت أوصالهم كما هتكوها بالمساحي والمرور .

رحم الله امرءاً

روى غير واحد أن الحجاج قال في خطبته في المواعظ :

الرجل .. وكلكم ذاك الرجل ، رجل خطم نفسه وزمّها ، فقادها بخطامها إلى طاعة الله ، وكفّها بزمامها عن معاصي الله ، رحم الله امرءاً رد نفسه ، امرءاً اتهم نفسه ، امرءاً اتخذ نفسه عدوةً ، امرءاً حاسب نفسه قبل أن يكون الحساب إلى غيره ، امرءاً نظر إلى ميزانه ، امرءاً نظر إلى حسابه ، امرءاً وزن عمله ، امرءاً فكر فيما يقرأ غداً في صحيفته ويراه في ميزانه ، وكان عند قلبه زاجراً ، وعند همه آمراً ، امرءاً أخذ بعنان عمله كما يأخذ بعنان جمله ، فإن قاده إلى طاعة الله تبعه ، وإن قاده إلى معصية الله كف ، امرءاً عقل عن الله أمره ، امرءاً فاق واستفاق ، وأبغض المعاصي والنفاق ، وكان إلى ما عند الله بالأشواق . فما زال يقول : امرءاً امرءاً ، حتى بكى مالك بن دينار .

الغفلة حسرة

قال الحسن البصري : وقذتني كلمةٌ سمعتها من الحجاج ، سمعته يقول على هذه الأعواد :

إن امرءاً ذهبت ساعةٌ من عمره في غير ما خُلق له .. لَحَرِيٌّ أن تطول عليها حسرتُه إلى يوم القيامة .

صدق الله وكذب الشاعر

قال الهيثم بن عدي : جاء رجل إلى الحجاج فقال : إن أخي خرج مع ابن الأشعث فَضُرِبَ على اسمي في الديوان ، ومُنعتُ العطاء ، وقد هُدمتْ داري .

فقال الحجاج : أما سمعت قول الشاعر :

حنانَيْكَ من تجنيَّ عليك وقد تَعدي الصَّحاحَ مَبارِكُ الجَرَبِ
وَلَرُبَّ مأخوذٍ بذنب قريبه ونجا المقارفُ صاحبُ الذنبِ ؟

فقال الرجل : أيها الأمير ! إني سمعت الله يقول غير هذا ، وقول الله أصدق من هذا .

قال : وما قال ؟

قال : ﴿**قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۞ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ**﴾ [يوسف : 78-79] .

قال : يا غلام أعدْ اسمه في الديوان ، وابنِ داره ، وأعطه عطاءه ، ومُرْ منادياً ينادي : صدق الله وكذب الشاعر .

أطلقوا هذا لصدقه وهذا لفعله

قال المدائني : أُتي الحجاجُ بأسيرين من أصحاب ابن الأشعث ، فأمر بقتلهما ، فقال أحدهما : إن لي عندك يداً ، قال : وما هي ؟ قال : ذكر ابن الأشعث يوماً أمك فرددت عليه . فقال : ومن يشهد لك ؟ قال : صاحبي هذا . فسأله فقال : نعم . فقال : ما منعك أن تفعل كما فعل ؟ قال : بغضك ، قال : أطلقوا هذا لصدقة وهذا لفعله . فأطلقوهما .

والله لازدتكنَّ تضعضعاً

قال الهيثم بن عدي عن ابن عباس :

كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج أن ابعث إلي برأس أسلم بن عبد البكري ، لما بلغني عنه ، فأحضره الحجاج ، فقال أسلمُ : أيها الأمير! أنت الشاهد وأمير المؤمنين الغائب ، وقال الله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ [الحجرات : 6] وما بلغه باطل ، وإني أعول أربعة وعشرين امرأة ما لهن كاسب غيري وهنَّ بالباب ، فأمر الحجاج بإحضارهن ، فلما حضرن جعلت هذه تقول : أنا خالته ، وهذه أنا عمته ، وهذه أنا أخته ، وهذه أنا زوجته ، وهذه أنا بنته ، وتقدمت إليه جارية فوق الثمان ودون العشرة ، فقال لها الحجاج : من أنت ؟ فقالت : أنا ابنته ، ثم قالت : أصلح الله الأمير ، وجثت على ركبتيها وقالت :

أحجـــاجُ لـــم تشـــهد مقـــام بناتـــه وعماتـــــه يندبنـــــه الليـــــلَ أجمعـــــا
أحجـــاج قـــد تقتـــل بـــه إن قتلتـــه ثمانـــــاً وعشـــــراً واثنتـــــين وأربعـــــا
أحجـــاج مـــن هـــذا يقـــوم مقامـــه علينـــــا فمهـــــلاً إن تزدنـــــا تضعضـــــعا
أحجـــاج إمـــــا أن تجـــــود بنعمـــــة علينـــــا وإمـــــا أن تقتلنـــــا معـــــا

قال : فبكى الحجاج ، وقال : والله لا أعنت عليكن ولا زدتكن تضعضعا ، ثم كتب إلى عبد الملك بما قال الرجل ، وبما قالت ابنته هذه ، فكتب عبد الملك إلى الحجاج يأمره بإطلاقه ، وحسن صلته ، وبالإحسان إلى هذه الجارية ، وتفقدها في كل وقت .

أمس – اليوم – غداً

كتب عبد الملك إلى الحجاج يسأله عن أمس واليوم وغد ، فقال للرسول : أكان خويلد بن يزيد بن معاوية عنده ؟ قال : نعم ! فكتب الحجاج إلى عبد الملك : أما أمس فأجل ، وأما اليوم فعمل ، وأما غداً فأمل .

منعُ الحق وبذلُ الباطل .. سواء

قال عمر بن شبة ، عن أشياخه : كتب عبد الملك إلى الحجاج يعتب عليه في إسرافه في صرف الأموال ، وسفك الدماء ، ويقول : إنما المال مال الله ونحن خزَّانه ، وسيان منعُ حقٍّ أو إعطاءُ باطل.

وكتب في أسفل الكتاب هذه الأبيات :

إذا أنت لم تترك أموراً كرهتُها ... وتطلبْ رضائي في الذي أنا طالبُه
وتخشى الذي يخشاه مثلُك هارباً ... إلى الله منه ضيع الدرَّ حالبُه
فإنْ تَرَ مني غفلةً قرشيةً ... فيا ربما قد غص بالماء شاربُه
وإنْ تَرَ مني وثبةً أمويةً ... فهذا وهذا كله أنا صاحبُه
فلا تَعْدُ ما يأتيك مني فانْ تعدْ ... تَقُمْ فاعلمنْ يوماً عليك نوادبُه

فلما قرأه الحجاج كتب : أما بعد فقد جاءني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفي في الأموال ، والدماء ، فوالله ما بالغت في عقوبة أهل المعصية ، ولا قضيت حق أهل الطاعة ، فإن كان ذلك سرفاً فليحدَّ لي أمير المؤمنين حداً أنتهي إليه ولا أتجاوزه ، وكتب في أسفل الكتاب :

إذا أنا لم أطلب رضاك وأتقي ... أذاك فيومي لا توارت كواكبُه
إذا قارف الحجاجُ فيك خطيئةً ... فقامت عليه في الصباح نوادبُه
أسالم من سالمت من ذي هوادةٍ ... ومن لا تسالمه فإني محاربُه
إذا أنا لم أُدْنِ الشفيقَ لنصحِهِ ... وأُقْصِ الذي تسري إليَّ عقاربُه

فمـــن يتقـــي يـــومي ويرجـــو إذا غـــدي علـــى مـــا أرى والـــدهر جـــمٌ عجائبُـــه

إنْ نجا لينجونَّ بهما !

قال الأصمعي : لما حضرت الحجاج الوفاة أنشأ يقول :

يـــا رب قـــد حلـــفَ الأعـــداءُ واجتهـــدوا بـــأنني رجـــلٌ مَـــنْ ســـاكني النـــارِ
أيحلفـــونَ علـــى عميـــاءَ ويحهـــمُ مـــا علمهـــمْ بعظـــيمِ العفـــو غفَّـــارِ

قال : فأُخبر بذلك الحسن ، فقال : بالله إن نجا لينجون بهما .

وزاد بعضهم في ذلك :

إن المـــوالي إذا شـــابت عبيـــدُهُمُ فـــي رِقِّهـــم عتقـــوهم عِتْـــقَ إبـــرارِ
وأنـــت يـــا خـــالقي أولـــى بـــذا كرمـــاً قـــد شـــبت فـــي الـــرق فـــاعتقني مـــن النـــارِ